

التواصل والنمو الاجتماعي لدى الأطفال الصم

**التواصل والنمو الاجتماعي: نموذج ارتقائي للسلوك
الاجتماعي لدى الأطفال الصم**

**Communication and Social Growth:
A Developmental Model of Social Behavior in Deaf
Children.**

تأليف

البروفيسور روبرت شوم

أستاذ الصحة النفسية

ترجمة

د. محمد السعيد أبو حلوة

مدرس بقسم علم النفس التربوي، كلية التربية بدمنهور
جامعة الإسكندرية

Robert L. Schum, (1991). Communication and Social Growth: A Developmental Model of Social Behavior in Deaf Children. Ear and Hearing, Vol. 12, No. 5, PP. (320-327).

المكتبة الإلكترونية

أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة

www.gulfkids.com

ملخص :

يقترح معد الورقة الحالية نموذجاً ارتقائياً معرفياً لوصف وتحليل وتفسير السلوك الاجتماعي والتفاعلات الاجتماعية لدى الأطفال الصم. ويأخذ هذا النموذج في اعتباره تراكم الشواهد العلمية المثبتة لتزايد المشكلات السلوكية والاجتماعية لدى الأطفال الصم. ويؤكد في هذا النموذج بصورة خاصة علي الدور الذي تلعبه اللغة في نمو الإدراك والتفاعل الاجتماعي. وتعزي مشكلات التفاعل الاجتماعي لدى الأطفال الصم بصفة عامة إلي بطء وتأخر النمو اللغوي نتيجة ما تفرضه الإعاقة السمعية من قيود علي عالم الخبرة الاجتماعية للمبتلي بها. وتختتم الورقة بتبيان الدلالات التطبيقية للنموذج النظري المقترح بالنسبة لمداخل واستراتيجيات الوقاية من /وعلاج مشكلات السلوك الاجتماعي والتفاعلات الاجتماعية لدى الأطفال الصم.

المقدمة :

يواجه المتخصصون العاملون في مجال رعاية وتربية الأطفال الصم بسلوكيات اجتماعية شاذة أو غير معتادة تصدر عن هؤلاء الأطفال بصورة غير معهودة لدى أقرانهم العاديين. وعادة ما يطلب آباء ومعلمو هؤلاء الأطفال المساعدة من الخبراء الكلينيين المتخصصين في مجال الوقاية من/وعلاج المشكلات النفسية والسلوكية لدى الأطفال الصم وضعاف السمع لتقييم ووصف وتحليل وتعديل هذه السلوكيات. وتشير ميدو 1976 إلي أن الأطفال الصم يظهرون مشكلات سلوكية كثيرة أو بمعدل مرتفع مقارنة بأقرانهم من الأطفال العاديين (Meadow,1976). وغالباً ما يوصف الأطفال الصم بأنهم مندفعون، متصلبون، غير ناضجون، متمركزون حول ذواتهم، غير قادرين علي ضبط الذات، غير متعاطفون ومتبدلون انفعالياً، ولديهم وعي منخفض بالذات (Hummel&Schirmer,1984). ومن المثير للدهشة أن الأطفال الصم لآباء صم تتخفف لديهم بصورة ملحوظة السلوكيات الشاذة مثل عدم النضج، الاعتمادية، وعدم تحمل المسؤولية التي غالباً ما تصدر عن أقرانهم من الأطفال الصم لآباء عاديين السمع (Delago,1982). وبما أن 90% من الأطفال الصم يولدون ويعيشون في أسر أعضائها عاديين السمع (Vernon&Andrews,1990) فإنه من المحتمل أن يكون الأطفال الصم أكثر عرضة لخطر المعاناة من كثير من صيغ المشكلات النفسية الاجتماعية مقارنة بأقرانهم من الأطفال عادي السمع. وربما يرجع الفرق بين المجموعتين من الأطفال – الأطفال الصم لآباء صم في مقابل الأطفال الصم لآباء عاديين السمع – فيما يتعلق بالمشكلات النفسية الاجتماعية إلي التعدد الواضح في الأسباب المؤدية إلي الفقد السمعي، سواء من خلال الحالات النيرولوجية أو

العصبية التي تسبب مشكلات سلوكية بصورة مباشرة (مثل اضطراب قصور الانتباه المقترن بالنشاط الحركي) أو تهيب الطفل بصورة غير مباشرة للمشكلات النفسية الاجتماعية مثل (التخلف العقلي). وقد أوردت ميدو 1972 وفيرنون وأندروز 1990 أن ثلث الأطفال الصم – طفلاً أصماً من كل ثلاثة أطفال صم – " فقط " لديهم إعاقة أخرى بالإضافة إلي الصمم (Meadow,1972;Vernon&Andrews,1990). ويشير فيورث 1973 أيضاً إلي أن غالبية الأطفال الصم (70%) ليسوا متعددي الإعاقة (Furth,1973). مما قد يصححه الاقتراض أو علي الأقل التفكير في أن المشكلات النفسية لدي الأطفال الصم لآباء عاديي السمع ترتبط بخصائص خبرات التعلم المتاحة لهؤلاء الأطفال أكثر من ارتباطها بالمشكلة البدنية – التعطل الوظيفي لحاسة السمع

قد يفهم من ذلك أن هذه النسبة – 30% من الأطفال الصم لديهم بالإضافة إلي الصمم إعاقة أخرى – أن هذه النسبة قليلة والواقع أن اقتران الإعاقة السمعية بإعاقة أخرى أمراً مفزعاً وأن هذه النسبة مخيفة وليست قليلة بأي حال من الأحوال ولهذا الاقتران تأثيراً بالغ الخطورة علي مجمل مظاهر الارتقاء النفسي للمبتلي.

ويهدف المقال الحالي إلي تقديم نموذجاً يمكن باعتماده وصف وتفسير كيف تنشأ وتتطور المشكلات السلوكية لدي الأطفال الصم نتيجة قصور أو نقص خبرات التعلم بصيغها المختلفة. إذ من المهم أن يستند الكليينكين إلي نموذج سببي تفسيري لوصف وتحليل تجميعية المشكلات السلوكية/ الاجتماعية التي توجد لدي الأطفال الصم. بدلاً من محاولة علاج الحالات الفردية للسلوك أو التوافق الشاذ أو غير المناسب. وتكمن صعوبة التركيز علي الحالة الفردية لسوء التوافق الاجتماعي في أن الطفل يتم تعريفه باستخدام أوصاف مثل منحرف أو شاذ أو علي الأقل مضطرب بصورة أو بأخرى. والافتراض القائم هو أن سلوك الطفل الأصم غير مناسب بسبب أن أقرانه من الأطفال في نفس عمره الزمني يتصرفون بصورة مختلفة أي بطريقة يصفها المجتمع بأنها عادية أو سوية وبالتالي فإن الطفل الأصم مقارنة بالطفل العادي غير متوافق أو غير سوي. أكثر من ذلك يعتقد أن وقاية/ علاج الأطفال العاديي من المشكلات النفسية والسلوكية أمراً ميسوراً إذا أحسن اختيار طرق التربية والتعليم الفعالة والأمر بالنسبة إلي الأطفال الصم صعب جداً علي اعتبار أن المشكلات النفسية الاجتماعية لدي الأطفال الصم هي من الخصائص المرتبطة عضوياً – إن جاز التعبير – بالصمم ومن هنا يتعذر تجنبها وبالتالي هناك تفهماً خاطئاً مرتبطاً بذلك مفاده أنه طالما أن غالبية الأطفال الصم لآباء عاديي السمع يظهرون نفس المشكلات النفسية الاجتماعية إذن هذه المشكلات لها علاقة مباشرة أو ناتجة بصورة مباشرة عن الصمم أو الفقد السمعي ومن الملامح أو الخصائص الأساسية

المميزة له وليست ناتجة أو راجعة إلى طبيعة وخصائص بيئة أو خبرات التعلم التي تتوفر لهؤلاء الأطفال. وبناء عليه تتضح الحاجة الماسة إلى تطوير مداخل أو نماذج تفسيرية يمكن باعتمادها تجاوز هذه التصورات الخاطئة وتبيان تهاافتها ونري من جانبنا أن النموذج النظري الذي تطرحه الورقة الحالية يوفر للكليينكين بناءً نظرياً يمكنهم من تفهم ووصف وتحليل وتفسير وبالتالي علاج كثيراً من صور الخلل النفسي الاجتماعي لدي الأطفال الصم وذلك لتركيزه أساساً علي تبيان طبيعة وخصائص ومسار الارتقاء النفسي للأطفال الصم مع التأكيد بصفة خاصة علي طرق علاج المشكلات الاجتماعية وتحسين وتعزيز النمو الاجتماعي لهذه الفئة من الأطفال.

مببرات صياغة النموذج التفسيري المقترح

طبقت شيليزنجر وميدو 1972 نموذجاً نظرياً اجتماعياً نمائياً لوصف وتحليل وتفسير تأثير الصم علي النمو النفسي الاجتماعي للطفل الأصم. واستخدما نموذج إريك إريكسون 1950 المعروف بنموذج مراحل النمو النفسي الاجتماعي والذي يوصف بعبارة (نموذج المراحل النمائية الثمانية). إلا أن تطبيقهما لهذا النموذج النظري في وصف وتحليل وتفسير سلوك الأصم يعتريه مشكلات أو أوجه قصور كثيرة منها:

أولاً: - ميلهما إلى تفصيل تفسيراتهما لسلوك الأصم لنتناسب أو لتتنسق مع نموذج إريكسون بصورة تامة. فقد تبنيا بناءً نظرياً وراحا يتلمسا كل ما يمكن أن يفيد تطابق السلوكيات الفعلية للصم مع هذا البناء أو النموذج. ثانياً: تمشياً مع إلحاح هاجس التطابق - بين سلوكيات الصم ومضامين نموذج إريكسون - جاء وصفهم لشخصية الصم في مختلف مراحل النمو النفسي الاجتماعي لإريكسون شديد الغموض ومحدوداً جداً لدرجة يتعذر تلمس تطبيقات له خارج إطار الفائدة الكليينكية - بمعنى افتقاد هذا الوصف والتحليل إلى الدلالة التعليمية - . وثالثاً: كما أن تفسيراتهما لم تتعرض لكثيرٍ من المشكلات النفسية الاجتماعية التي تشيع أو تنتشر بين غالبية الأطفال الصم إضافة إلى أن استخدامهما لنموذج إريكسون لم يفضي إلي تفسيرات توضح لماذا تشيع أو تنتشر مثل هذه النوعية من المشكلات بين الأطفال الصم. ومع ذلك فإن مدخل شيليزنجر وميدو مفيداً لتأكيد علي أن المشكلات النفسية الاجتماعية لدي الأطفال الصم ترتبط بتأخر أو توقف النمو العادي وليست ناتجة عن خلل أو مشكلات نفسية مرضية متصلة بيولوجياً أو بنيوياً في تكوينهم (Schlesinger&Meadow,1972).

وإذ بني علي مدخل شيليزنجر وأدخلت عليه تعديلات أو تحسينات معينة لأمكن صياغة نموذجاً نظرياً للنمو الاجتماعي لدي الأطفال الصم يعتمد في صياغته علي الملاحظات الفعلية للتفاعلات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية للطفل الأصم مع الآخرين بدلاً من محاولة

جعل البيانات (السلوكيات) تتطابق أو تتسق مع نموذجاً تفسيريّاً سابق التصنيع أو التجهيز. للتوصل إلي نموذج يصف ويحلل ويفسر البيانات (السلوكيات) كما توجد.

ويوجد نموذج نظري تفسيري آخر يمكن اعتباره نقطة بداية لصياغة نموذج نظري لوصف وتحليل وتفسير النمو الاجتماعي للأطفال الصم بصفة خاصة ويعرف هذا النموذج يسمى بنظام المستوي أ The I- Level System (مستويات التكامل في العلاقات الاجتماعية المتبادلة Levels of Interpersonal Integration) أعده وطوره جرانت وجرانت 1957 أثناء دراستهم وبحوثهم التي تناولت الأحداث الجانحين إذ يصف ويحلل ويفسر هذا النموذج كيف تنمو مستويات الإدراك والتفاعلات الاجتماعية وكيف تتأثر مستويات نمو الإدراك والتفاعلات الاجتماعية بطبيعة ونوعية الخبرات والسياقات الاجتماعية التي يتعرض لها ويعيش فيها الأطفال. وقد افترض جرانت وجرانت أن من أهم خصائص الأحداث الجانحين توقف نموهم الاجتماعي عند مرحلة نمائية (Grant&Grant,1957). وعلي الرغم من أن نظام المستوي أ قد لا ينطبق علي الأطفال المعوقين سمعياً إلا أنه يتضمن بعدين أو جانبين مهمين أو لهما فائدة في إعداد أو صياغة نموذج للنمو الاجتماعي لدي الأطفال الصم. الأول:- هو التركيز علي التفاعلات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين إذ تعكس معظم المشكلات السلوكية لدي الأطفال الصم خلل أو قصور العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين مثل التبدل الانفعالي ونقص التعاطف مع الآخرين، التمرکز حول الذات، ونقص الوعي بإمكانية تأثيرهم في الآخرين. أما الجانب أو البعد الثاني فيتمثل في مفهوم ارتباط المشكلات السلوكية بما يعرف بالثبوت عند مستوي معين من مستويات تسلسل أو تتالي النمو العادي بدلاً من اعتبار هذه المشكلات مجسدة لشذوذ أو انحراف نمائي. ويعد نموذج مستويات التكامل في العلاقات الاجتماعية المتبادلة نموذجاً ارتقائياً معرفياً يتشابه مع المخططات المقترحة من قبل بياجه في نظريته عن النمو العقلي ويتشابه أيضاً ما طرح كوليرج للنمو الخلقى. ويتضمن نموذج النمو المعرفي تتابع لمراحل نمائية يبني نجاح تجاوز مرحلة علي المرحلة السابقة ويمهد للمرحلة اللاحقة. ويشير هذا النموذج إلي مفهوم إعادة التنظيم وتزايد التعقيد في النمو المعرفي بناء علي طبيعة ونوعية خبرات التعلم التي يتعرض لها الشخص في بيئته. ومن المفاهيم المهمة جداً في نموذج النمو المعرفي لبياجه مفهوم التوازن – والذي يشير إلي تزايد واتساع نطاق القدرة العقلية للشخص من خلال النمو البدني – كما أن البنية المعرفية تفسر وتدمج في خبرات تعلم جديدة. ويتطلب النمو المعرفي وفق نموذج بياجه أن يكون لدي الشخص النشاط والفاعلية الشخصية وأن يتوافر له الخبرات التي تمكنه من إعادة تنظيم مثل هذه المفاهيم. ويفترض بياجه أن الشخص يولد ولديه قدرات فطرية مثل القدرة العقلية والنمو الذي يؤهله لاستخدام الخبرات البيئية لتطوير واكتساب أفكاراً متقدمة عن كيف يعمل العالم.

ويمكن من خلال التوفيق بين نموذج النمو المعرفي ونظام مستوي أ المشار إليه نقطة بداية التوصل إلي نموذج نظري يفسر مسار نمو العلاقات الاجتماعية المتبادلة لكل الأطفال. إذ يفترض نموذج النمو المعرفي أنه مع استمرار نمو الجهاز العصبي يستطيع الأطفال استخدام الخبرات البيئية لبناء وتعديل المفاهيم المتعلقة بكيف يتفاعل الناس في علاقاتهم الاجتماعية المتبادلة. خاصة نمو وتزايد تفهم الطفل للتفاعلات الاجتماعية مع الآخرين في بيئته. ويفسر مستوي فهم الطفل (المرحلة النمائية) لماذا يتصرف مع الآخرين بطريقة معينة إضافة إلي أن مستوي الفهم هذا يفرض منطقاً معيناً علي سلوكيات الطفل. ويضع النموذج النظري التفسيري المقترح في الورقة الحالية في اعتباره كل من خبرات التواصل المتاحة للطفل والقدرات العقلية له. والموضوع أو الفكرة الرئيسية الناضجة لتطبيق هذا النموذج تتمثل في أنه بسبب فقر أو نقص وقلة خبرات التواصل المتاحة للأطفال الصم بالإضافة إلي ما يرتبط بهذه الخبرات من قيود أو عقبات لا يتلقى هؤلاء الأطفال الخبرات البيئية الضرورية لبناء المستويات العليا من الفهم للعلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين. ونتيجة لذلك يبقى الأطفال الصم متوقفون عند أو مثبتون عند مراحل منخفضة من النمو ويظهرون سلوكيات يحكم عليها بأنها شاذة مقارنة بأقرانهم من الأطفال العاديين من نفس أعمارهم الزمنية. وينظر إلي مثل هذه السلوكيات باعتبارها شاذة بمعنى كونها غير مناسبة لعمر الطفل وأن هذه السلوكيات تعكس مستوي فهم بدائي للعلاقات الاجتماعية المتبادلة إضافة إلي اعتبارها مظهراً للتأخر النمائي العام. وتجدر الإشارة إلي أن السلوكيات الاجتماعية غير العادية التي يظهرها بعض الأطفال هي سلوكيات غير ناضجة يستخدمونها في محاولة إيجابية للتوافق مع الآخرين وتعكس هذه السلوكيات مستوي الإدراك الاجتماعي لدي الطفل. وبناء علي ذلك يستند في النموذج النظري المقترح إلي التفسيرات التقليدية للقصور أو لصيغ الخلل أو القصور السلوكي لدي الأطفال الصم باعتبارها نتيجة لصيغ الخلل أو القصور في اللغة والتواصل (Liben,1978). ومن هنا لو قيم توافق الطفل اعتماداً علي مفهوم المراحل النمائية أو مراحل النمو بدلاً فكرة العمر الزمني فلن ينظر إلي الطفل باعتباره غير عادياً أو شاذاً. علي سبيل المثال يفهم معظم الناس أن طفل الثانية من العمر غالباً ما تتنابه ثورات أو نوبات غضب وهياج انفعالي عندما يحبط كما أن الطفل في هذا العمر يطلب الإشباع أو التلبية الفورية والمباشرة لاحتياجاته. وينظر إلي هذا السلوك باعتباره سلوكياً عادياً لا يثير التعجب أو الدهشة. بينما لو صدرت هذه النوبات أو الثورات من طفل عمره سبع سنوات هنا ينزعج المحيطون به وغالباً ما يعتبرون مثل هذا الطفل شاذاً أو منحرفاً أو مضطرباً. وي طرح النموذج الحالي تفسيرات تتعلق بالإجابة علي سؤال لماذا يتصرف بعض أطفال الصم في سن السابعة من العمر علي النحو السابق – سلوكيات نوبات الغضب وثورات الهياج الانفعالي – فهذه السلوكيات قد لا تعكس اضطراب

المسلك أو التصرف وقد لا تعكس حالة نفسية مرضية ولكن ربما تعكس تأخر في النمو المتعلق بالعلاقات الاجتماعية المتبادلة نتيجة محدودية وقصور خبرات التعلم التي تعرض لها هؤلاء الأطفال خلال السنوات السابقة بمعنى قد تكون هذه السلوكيات نتيجة لضيق نطاق خبرات التعلم والقيود الخاصة بحرمان هؤلاء الأطفال من عالم الخبرة الاجتماعية العادية. وإذا كانت التفسيرات النظرية للنموذج المقترح مختلفة عن تفسيرات النماذج التفسيرية الأخرى فإن الدلالات التطبيقية له تختلف أيضاً فبدلاً من محاولة إزالة السلوكيات الشاذة أو تصحيح الانحراف النمائي يحاول الراشد الذي يعمل مع الطفل استثارة أو تنشيط أو تحفيز مزيداً من النمو الاجتماعي له في سياق التفاعلات الاجتماعية الاعتيادية التي تطرحها مختلف مواقف وسياق التفاعل الاجتماعي وبالتالي اتخاذ هذه الاستثارة صيغة تزويد الطفل بخبرات تفاعل وتعلم إضافية تشمل التواصل لمساعدته علي تفهم والدخول في علاقات اجتماعية فعلية متبادلة مع الآخرين. ويفترض النموذج المقترح أن الأطفال الصم لديهم الإمكانيات العقلية التي تمكنهم من اكتساب وفهم المفاهيم المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين. ويفترض أيضاً أن صيغ الخلل أو القصور النفسي والسلوكي لدي الأطفال الصم يعزي في جزء كبير منه إلي نقص خبرات التعلم والتفاعل ولهذا النقص بعدين أساسيين يتوزع عليهما البعد الأول: عدم وجود وسيلة تواصل عامة واحدة يتلقون من خلالها المعلومات من الآخرين. والثاني: عدم نمو نظام لغوي يمكنهم من تلقي ومعالجة وترميز واستخدام المعلومات البيئية المختلفة.

ثانياً: المراحل النمائية للتفاعل بين الشخصي المتبادل أو للعلاقات الاجتماعية

المتبادلة مع الآخرين:-

المرحلة الأولى: الذات في مقابل العالم Self Versus World.

عندما يولد الطفل تكون المهمة الاجتماعية الأولى المنوط به إنجازها تمييز نفسه عن بقية الأشياء المحيطة به. ومن خلال الاستكشاف الحسي الحركي يتعلم الطفل ما الذي يستطيع التحكم فيه وما لا يستطيع. علي سبيل المثال يحدث الطفل من خلال رمش العين والحملقة وتدوير الرأس تغيرات في الصور البصرية أو يبقى شاخصاً ببصره مثبتاً إياه علي موضوعات معينة. ومع تتالي الخبرات يتعلم الطفل أنه علي الرغم من قدرته في السيطرة علي جزءاً من الإثارة البصرية يوجد خبرات بصرية أخرى خارج نطاق سيطرته. ويعايش الطفل خبرات مشابهة مع نموه الحركي ومع نمو قدرته علي إصدار الأصوات والكلام ليقر في وعيه أن هناك أحداثاً وخبرات قد يستطيع ضبطها والسيطرة عليها وهناك أحداثاً وخبرات يتعذر عليه ضبطها والسيطرة عليها . ويتعلم الطفل بالترجيح ووفق هذه الطريقة تمييز نفسه عن بقية

العالم من حوله. ويبدو أن إنجاز هذه المهمة أمراً سهلاً بالنسبة للأطفال العاديين وغالباً ما ينجز الطفل هذه المهمة مع نهاية الشهر الثاني من عمره. علي سبيل المثال يستطيع الطفل مع نهاية الشهر الأول من عمره من متابعة التحركات الرأسية والأفقية للمثيرات البصرية. ويظهر الطفل خلال الشهر الثاني من عمره نوعاً من الانزعاج حال مغادرة من يقوم علي أمر رعايته الحجرة واختفائه عن بصره (Baley,1969) أما في حالة الأطفال الصم لا يوجد ما يدل علي أن الصم يعيق قدرة الطفل المبتي به علي إنجاز مثل هذا التمييز — تمييز نفسه عن بقية العالم من حوله — وعلي الرغم من أن السمع أحد أهم القنوات التي يستخدمها الطفل في تمييز نفسه عن العالم فإن لدي الطفل قنوات حسية أخرى — حواس — تزوده بمعلومات متنوعة تمكنه من تحقيق هذه المهمة. ولا توجد شواهد كينيكية أو بحثية تفيد أن الأطفال الصم (من غير ذوي الإعاقات الأخرى) يواجهون صعوبات في إنجاز أو تحقيق هذا المستوي من مستويات النمو الاجتماعي في نفس وقت تحقيق أو إنجاز أقرانهم العاديين له.

المرحلة الثانية الأشخاص في مقابل الموضوعات أو الأشياء Persons Versus Objects.

يعد تقسيم الطفل للعالم الخارجي من حوله إلي فئتين أساسيتين الأولى عالم الأشخاص والثانية عالم الموضوعات أو الأشياء المستوي الثاني من مستويات نمو فهم التفاعل بين الشخصي أو العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين. ويتعلم الطفل خلال هذه المرحلة أن الأشخاص فئة متميزة وفريدة في العالم الخارجي. خذ مثلاً حالة رضيع يجلس في مقعد الأطفال علي طاولة معينة ومع تقليب نظره فيما حوله يلاحظ شيئاً طويلاً أبيضاً مستطيلاً قد يتخذ أشكالاً وألواناً متعددة وفي نفس الوقت يكون الهواء المحيط بها يجعله يشعره بالبرد. ومع مرور الوقت يتعلم الطفل الرضيع أن والده يسمي هذا الشيء الثلجة. ويلاحظ أيضاً أن شيئاً ما يقترب منه عندما توضع زجاجة الحليب في فمه ويبدأ في مصها. ويتعلم أن هذه الزجاجة توضع في فمه عندما يبكي أو عندما ينألم نتيجة انثناء رجليه. ومع تتالي خبرات تفاعل الرضيع مع الوسط المادي والاجتماعي المحيط به يتعلم أن فئة البشر أكثر تغييراً وأقل قابلية للتنبؤ مقارنة بالأشياء غير الحية.

وكما هو الحال في المرحلة الأولى لا توجد شواهد للاعتقاد بأن الأطفال الصم متأخرون نمائياً فيما يخص هذه المرحلة من مراحل النمو الاجتماعي (Tomlinson-Keasey&Kelly,1974) وعلي الرغم من أن السمع يساعد الأطفال بصفة عامة علي فهم ما يحيد بهم في هذه المرحلة النمائية إلا أن لدي الأطفال الصم خبرات حسية أخرى مثل اللمس، الشم، والبصر تساعد على تفهم أن البشر يختلفون عن بقية الموضوعات أو الأشياء المحيطة بهم. علي سبيل المثال يرتبط الرضع بآبائهم لتعلمهم أن البشر مهمين جداً كوسائط لتزويدهم بالغذاء، الملابس الجافة،

والإثارة الحسية. فالرضيع يتعلم بسرعة التعبير عن الضيق والتألم بصور إشارية متعددة ويلاحظ تبعاً لذلك أنه دائماً ما يتواجد شخصاً يرتبط وجوده بتخليصه من هذا الضيق والتوتر. وبناء علي هذا التمييز الأولي – تمييز البشر عن الأشياء – يصبح البشر في مخيلة الطفل الرضيع مجرد فئة متميزة وظيفتهم الأساسية خدمته، ومن هنا ينشأ إدراكه الأولي لاحتياجه إليهم (Sullivan et al.,1957) وغالباً ما يبدأ هذا النمط من المعالجات المعرفية – إدراك أن البشر وحدات ذات هوية متميزة عن الموضوعات المادية – ما بين الشهر الثاني إلي الشهر الرابع من عمر الطفل ففي الشهر الثاني علي سبيل المثال قد يتمكن الرضع من تمييز تشكيلات الوجوه البشرية عن الموضوعات المرئية الأخرى وقد تظهر في هذا الوقت تبعاً لذلك استجابة الابتسام الاجتماعية في حين قد يبدأ الطفل في الشهر الرابع في مداعبة صورته في المرآة وقد تظهر عليه علامات الارتياح والاندهاش لرؤيته ما تعكسه المرآة (Bayley,1969;Mussen,conger&Kagan,1974).

المرحلة الثالثة: مرحلة الفهم الاجتماعي المرتكز علي تركيبة خير في مقابل شر/طيب في مقابل شرير أو سيئ. Good Vs Bad (في ما بين الشهر الثامن عشر إلي الشهر السادس والثلاثين).

وهي مرحلة هامة جداً لنمو ما يعرف بالإدراك الاجتماعي. وعند هذا المستوي من النمو يميل الطفل إلي تصنيف الأشخاص بناء علي مدى تلبية احتياجاته الأساسية إلي أشخاص خيرون طبيين في مقابل أشخاص شريرين سيئين. ويقوم الأطفال في هذه المرحلة من نمو الفهم الاجتماعي الآخرين بناء علي مدى تلبية احتياجاتهم الذاتية بمعنى أن من يلبي احتياجاتهم فإنهم هم الطبيون الأخيار أما من لا يلبي هذه الاحتياجات أو علي الأقل يلبونها بصورة قاسية عنيفة فأولئك هم الأشرار السيئين. وبالنسبة للأطفال عادي النمو (العاديين) فإن المؤشرات المبكرة الدالة علي هذا المستوي من نمو الفهم الاجتماعي ربما تظهر في الشهر الثامن عندما يظهر الطفل ما يعرف بالقلق من الغرباء (Mussen,etal.,1974) أما فيما يتعلق بالطفل الأصم وضعيف السمع فتمتد هذه المرحلة ما بين الشهر الثامن عشر إلي نهاية السنة الثالثة من العمر. يكون الطفل خلال هذه المرحلة أكثر حركة وأكثر رغبة ونية في محاولات تلبية أو إشباع احتياجاته. فنجد أن مثل هذا الطفل يصدر إشارات إلي والديه ويتوقع الإشباع أو التلبية الفورية لمطالبه. ويشار إلي ذروة هذه المرحلة أحياناً (بالسنتين المخيفتين) فالأطفال الصم أو ضعاف السمع في سن خلال السنة الثانية والثالثة من العمر يكونون مندفعين وذوي نشاط حركي زائد وغير قادرين علي إرجاء تلبية أو إشباع احتياجاتهم. ويميل مثل هؤلاء الأطفال في ظل هذه الخصائص إلي ثورات أو نوبات الغضب والهييج العصبي الشديد إذا لم تلبي أو

تشبع احتياجاتهم بصورة فورية. فهؤلاء الأطفال لا يؤمنون إلي بمنطق هنا والآن أو اللحظة الحالية وتتحصر معالجاتهم للمواقف والأحداث في إطار مثل هذا الإيمان فليس للماضي أو للمستقبل لديهم أي اعتبار. وفي سعي الأطفال الصم أو ضعاف السمع إلي تلبية أو إشباع احتياجاتهم يصنفون الناس بصورة حدية جامدة إلي فئتين: طبيين خيرين في مقابل شريرين سيئين. ويحدث هذا التصنيف حتى قبل تعلم اللغة الاستقبالية أو اللغة التعبيرية. إذا يقوم الرضيع بالتمييز بين الناس المؤلفين والغرباء وربما يظهر ضيقاً وتوتراً نفسياً عند اقتراب الغرباء منه. ومع تقدمه في العمر يسعى الطفل بصورة عامة إلي الاقتراب من الآخرين طلباً لإشباع احتياجاته وتلبية مطالبه. وقد يظهر غيظاً أو ضيقاً واستياءً نفسياً حال عدم تعاون الآخرين معه أو حال عدم تلبية احتياجاته أو لمجرد تأخرهم في تلبية هذه الاحتياجات. وتميل لغة الطفل في هذه المرحلة بصورة عامة إلي الطابع الوصفي المتعلق بالتسميات أو الوسم والتسمية إذ نراه يستخدم أوصافاً أو تسميات حادة وجامدة في عملية تعريفه وتصنيفه للآخرين.

وهذه المرحلة من مراحل النمو الاجتماعي بالغة الأهمية في الحقيقة بالنسبة للأطفال الصم وضعاف السمع. فإذا وضع المرء في اعتباره سلوكيات الرضيع العادي الشائعة في هذه المرحلة لوجدنا هذه السلوكيات لدي الأطفال الصم الأكبر سناً بكثير. وعلي الرغم من الأطفال الصم وضعاف السمع بصفة عامة في هذه المرحلة يصلون إلي مستوي النمو الاجتماعي العادي تقريباً دون صعوبات واضحة حتى في حالة عدم وجود نظام تواصل رسمي بين الطفل والديه إذ قد يفهم الطفل الأصم وضعيف السمع أن والديه لديهم الرغبة في تلبية أو إشباع احتياجاته أم لا وفي حالة عدم تلبية احتياجاته ومطالبه يستجيب بصورة بالغة الغرابة والعنف وتنتابه نوبات أو ثروات غضب وهياج عصبي قد يصعب السيطرة عليه بوسائل التأديب الإيجابي الاعتيادية وبالتالي قد يلجأ الآباء إلي وسائل تأديب سلبية يتم توصيفها بصورة عامة تحت مظلة إساءة المعاملة. علي عكس ما يحدث بين الطفل عادي السمع والديه في هذه المرحلة إذ يقضون وقتاً طويلاً في تطوير نظام تواصل يسمح بالتعامل الإيجابي مع مظاهر غضب أو ثورة هذا الطفل حال عدم تلبية احتياجاته بصورة فورية. ويستخدم الآباء عادي السمع اللغة الشفوية في التواصل مع أطفالهم كما أن الآباء الصم يستخدمون ربما لغة التواصل الكلي في التواصل مع أطفالهم الصم وضعاف السمع وبالتالي قد يمكن التغلب علي هذه المشكلة. والحال غير ذلك بالنسبة للأطفال الصم أو ضعاف السمع لآباء عادي السمع إذ يعاني الأطفال الصم أو ضعاف السمع لآباء عادي السمع بطبيعة الحال من بطء أو تأخر شديد في نمو اللغة والتواصل كما أن الآباء غالباً ما يفتقدون إلي لغة التواصل الكلي مع أطفالهم وهنا تكمن الصعوبة. وعلي الرغم من أن عدم نمو نظام التواصل

في هذه المرحلة لا يحول هكذا تلقائيًا دون السلوكيات التعبيرية الأخرى التي يظهرها أطفال هذه المرحلة إلا أن كثيرًا من صيغ الصراع تظهر نتيجة لذلك أثناء تلبية الاحتياجات الأساسية للطفل. ومع ذلك مع تطور التواصل بين الآباء والأطفال يصبح المجال مهياً للمرحلة التالية من مراحل النمو الاجتماعي وهي مرحلة يظهر فيها مؤشرات الإدراك الاجتماعي المتبادل. وقد لا يستطيع الأطفال الصم ذوي بطة أو قصور النمو اللغوي الانتقال إلى المرحلة التالية من مراحل النمو الاجتماعي بسهولة لكونها ترتبط أو تعتمد بصورة كبيرة على التواصل المتقدم بين الآباء والأطفال. علي سبيل المثال وفقاً لما يري مندل وفيرنون 1971 فإن لدي الأطفال الصم وضعاف السمع ميلاً للتعبير الحركي البدني عن احباطاتهم بسبب - عكس الأطفال عادي السمع - أنهم لا يمتلكون المعلومات ولا الفرص الكافية للتعبير اللفظي عن مثل هذه المشاعر. وحتى في حالة وجود قاعدة لغوية معقولة لدي بعض الأطفال الصم وضعاف السمع فإن نقص خبراتهم السابقة فيما يتعلق بإرجاء تلبية أو إشباع احتياجاتهم أو مطالبهم يعد عامل خطورة يزيد بطبيعة الحال من احتمالات تشويه أو تخريب علاقاتهم الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين خاصة الآباء (Midel&Vernon,1971). ووفقاً لرأي شيليزنجر وميدو 1972 فإن الأطفال عادي السمع يتعلمون إرجاء إشباع أو تلبية احتياجاتهم أو مطالبهم أو علي الأقل تحمل الإرجاء بسبب أنه عندما تتبدي عليهم علامات الضيق والتوتر يسمعون من الحجرة المقابلة مثلاً صوت الأب أو الأم يطمئنهم نسبياً بأن الإشباع في طريقه إلي التحقق ومع تتالي هذه الخبرات يتعلمون تحمل إرجاء أو تأخير إشباع احتياجاتهم أو مطالبهم (Schlesinger&Meadow,1972) علي العكس لا يتلقى الأطفال الصم أية دلالات للطمأنة بسبب الفقد السمعي الذي لديهم (Altshuler,1974) خاصة إذا كان الأب أو الأم خارج حدود رؤية أو لمس الأطفال. وبالتالي لا يبني الأطفال الصم قاعدة خبرات تمكنهم من تعلم الانتظار وإرجاء أو تأخير تلبية الاحتياجات والمطالب. وقد أشار ألتشولير 1971 أيضاً إلي الأهمية البالغة للغة في هذه المرحلة باعتبارها آلية مهمة جداً لضبط الذات والسيطرة علي الاندفاعات ولما كان الأطفال الصم يفتقدون إلي اللغة أو علي الأقل لديهم بطة/تأخر/وقصور في النمو اللغوي قد يفتقدون إذن إلي ضبط الذات والسيطرة علي الاندفاعات الذاتية خاصة عند شعورهم بالإحباط نتيجة عدم أو مجرد تأخير وإرجاء إشباع مطالبهم أو احتياجاتهم (Altshuler,1971).

المرحلة الرابعة: مرحلة العلاقات الاجتماعية المرتكزة علي القواعد (لماذا؟).

تغطي هذه المرحلة العمرية بين سن الثالثة إلي سن السادسة من العمر. وفيها يتعلم الطفل أن التفاعلات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين لا تعتمد فقط علي نمط الشخص الذي يتم التفاعل معه (طيب خير / شرير سيئ) بل تنظم التفاعلات الاجتماعية بقواعد معينة تحكم

نوعيتها ومسارها. ويتعلم الطفل أن احتمالات تلبية أو إشباع احتياجاته ومطالبه تزداد إذا التزم في سلوكياته بقواعد معينة. علي سبيل المثال، فإن إعطاء الأب الأيس كريم للطفل لا يتوقف علي أن الأب طيب أو شرير بل يمكن التنبؤ باحتمالات إعطاء الأب الأيس كريم للطفل إذا أكل الطفل وجبته الغذائية كاملة . ومع تتالي خبرات التفاعل الاجتماعي يتعلم الطفل القواعد المنظمة له ويختبر هذه القواعد بالفعل ويجد أن القواعد تساعده في النجاح بالتنبؤ وإنتاج نواتج أو استجابات إيجابية من الآخرين. وهنا يكون الطفل مفهومًا معرفيًا مفاده أن الناس ملتزمون بالقواعد.

ويلعب النمو اللغوي والتواصل بين الآباء والأطفال دورًا بالغ الأهمية في النمو الاجتماعي في هذه المرحلة. فعلي الرغم من إمكانية تعلم الطفل لهذه القواعد عبر الملاحظة إلا أن الملاحظة تتطلب وقتًا طويلاً وانتباهًا شديدًا من قبل الطفل وأيضًا تتطلب أن يرمز أو يكود الطفل كل حدث يشاهده وهذه أمرًا بالغ الصعوبة وهو مستحيل في الواقع بالنسبة للكثير من الأطفال. علي العكس إذا قام الآباء بوصف وشرح القواعد للأطفال فإنهم يحتاجون إلي وقت أقل وانتباه أقل لاختبار هذه القواعد وللتحقق من تنبؤاتهم بالأحداث والوقائع. علي سبيل المثال، قد يلاحظ الطفل لشهور عديدة أن والديه يقدمان له الأيس كريم بمجرد أن ينتهي من تناول وجبته كاملة وهنا ربما ينمو لديه التنبؤ باحتمالات الحصول علي الأيس كريم في المرات التالية ومع تتالي هكذا خبرات تنتظم لديه معرفيًا فكرة التنبؤ والتوقع استنادًا إلي القواعد ويتعلم أن للأحداث والتفاعلات ضوابط تنظم إيقاعها ومسارها. ثم مع الوقت تترجم هذه الخاصية في القاعدة الشرطية (إذا..... إذن) فالأب مثلاً يعلن القاعدة أو الشرط ثم يستطيع الطفل اختبارها للتأكد من صحتها. وبهذه الطريقة قد لا يحتاج الطفل شهورًا كثيرة من الملاحظة ليتعلم القاعدة. وفي هذه المرحلة يكون الأطفال قادرين معرفيًا علي فهم/تفهم أن العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين تؤسس علي ضوابط أو قواعد معينة.

وتنطبق القواعد علي كل شيء وليس علي التفاعلات الاجتماعية فقط. إذ يتعلم الأطفال دلالات إشارات المرور مثلاً والالتزام بقواعد الأداء اللغوي. ويرتبط بالنمو اللغوي وتطبيق القواعد في هذه المرحلة ظهور التقليد أو المحاكاة. إذ يظهر أطفال هذه المرحلة محاكاة لسلوكيات أعضاء الأسرة ويتبنون مجموعة من القواعد لوصف مجموعة من الأفعال المرتبطة بشخص معين في الأسرة.

وتقدم مرحلة العلاقات الاجتماعية المؤسسة علي القواعد للطفل عنصرين بالغي الأهمية للسلوك الاجتماعي هما: أولاً القدرة علي التنبؤ بالتفاعلات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين من خلال التواصل والالتزام بالقواعد. والثاني: القدرة علي استخدام أو توظيف القواعد لإنتاج أو توليد سلوك اجتماعي إيجابي. وقد يأخذ السلوك الاجتماعي الإيجابي في بداية هذه المرحلة

في سن الثالثة من العمر تقريباً شكل تقليد نمط سلوك الآباء. ثم بعد ذلك في سن الخامسة من العمر تقريباً قد يأخذ السلوك الاجتماعي الإيجابي صيغة ترديد الطفل الصوتي لقواعد معينة لضبط سلوكياته. علي سبيل المثال، قد يقول طفل الخامسة من العمر لنفسه (الولد الطيب يغسل يديه قبل تناول الطعام) ثم يلتزم فيما بعد بهذه القاعدة.

ومن خصائص السلوك الاجتماعي لدي أطفال هذه المرحلة فهم علاقات السبب والنتيجة. وينمو لدي الأطفال الحس أو المعني ويصبحون أكثر توجهاً للمستقبل. فيتعلمون إرجاء أو تأخير إشباع أو تلبية الاحتياجات والمطالب إذا قدم إليهم إجراء (قاعدة) يفرضي الالتزام بها إلي نواتج إيجابية مرغوبة. وعلي الرغم من أن أطفال هذه المرحلة ميالون بصفة عامة إلي احترام القواعد والالتزام بها إلا أنهم مازالوا في مرحلة التمرکز حول الذات. إذ ترتبط أهمية القواعد من وجهة نظرهم فقط في مساعدتهم علي التنبؤ ببيئتهم.

وقد تسمى هذه المرحلة أيضاً مرحلة العلاقات الاجتماعية المرتكزة علي قاعدة السبب والنتيجة Cause and Effect-Based- social relationships . وهي المرحلة الرابعة من مراحل النمو الاجتماعي وتبدأ مع وصول الأطفال إلي سن الثالثة من العمر وفيها يتفهم الأطفال أن قاعدة السبب والنتيجة تنظم التفاعلات الاجتماعية وأنه يمكن التنبؤ بهذه التفاعلات استناداً إلي هذه القاعدة. علي سبيل المثال ربما يتعلم الطفل قاعدة (إذا أكلت طبق البازلاء سيعطيني والدي الأيس كريم) (إذا أخبرت جدتي أنني أحبها ستعطيني الكعك الذي أحبه). وتظهر مرحلة القواعد هذه نتيجة نمو قدرة الأطفال المعرفية علي فهم علاقات السبب والنتيجة. وبملاحظة أطفال الثالثة من العمر نجدهم لا يتوقفون عن طرح عشرات الأسئلة إضافة إلي رصدهم أو فهرستهم المعلومات الجديدة الناتجة عن الإجابة عن هذه الأسئلة أو الناتجة عن ملاحظاتهم الشخصية واستكشافهم للبيئة من حولهم فتراهم يتعلمون الكثير عن اللون الأخضر والأحمر وعن أين ومتي يتبولون مثلاً. ولم يعد أطفال الثالثة من العمر يقيمون الناس بصورة عشوائية بناء علي قاعدة التلبية أو الحرمان (خير في مقابل شرير) لكونهم يرون أنماط تجاوب ثابتة نسبياً في التفاعلات الاجتماعية إذ ليس هناك تلبية علي طول الخط ولا حرمان علي طول الخط أيضاً ما هناك أحداث تزيد من التلبية أو تقلل منها. ولكي ينتقل الأطفال إلي هذه المرحلة يجب أن يكون لديهم القدرة العقلية أو المعرفية لفهم وتسجيل المعلومات الجديدة إضافة إلي سيطرتهم علي وسائل التواصل مع الآخرين ليتمكنوا من الاستفسار عن / وتلقي الإجابات من قبل هؤلاء الآخرين. ويرى الأطفال ما يحدث بأعينهم لكنهم يتعلمون لماذا تحدث الأشياء بأذنيهم. ويعني ذلك أن الأطفال يحتاجون شرح ووصف وتفسير إذا ما أريد لهم أن يفهموا ملاحظاتهم. علي سبيل المثال قد يشاهد الطفل والده يقود السيارة ثم يشاهد بعد ذلك الإشارات الخضراء والحمراء وربما من خلال تكرار مثل هذه المشاهدات يتعلم الطفل دلالة هذه

الإشارات ولكن إذا قام الأب بلغة بسيطة شرح قاعدة أخضر/ أحمر بالنسبة للمرور يستطيع الطفل التفهم التام لهذه الدلالات بل والتنبؤ استناداً إليها في المواقف الجديدة (من عليه التوقف ومن عليه متابعة السير متي يسمح للمركبات الاقتراب من بعضها البعض ومتي يسمح لها بعبور أو تجاوز بعضها البعض). ولاشك أن تنامي الفهم الاجتماعي في مرحلة القواعد هذه يرقى مزيداً من السلوك الاجتماعي الإيجابي. وهنا يستطيع الأطفال إذن تعلم الاستجابة للمواقف الظرفية الشرطية التي يطرحها الآباء والتي تتجسد في القاعدة التعليمية (إذا فعلت أ إذن سيحدث ب أو ستحصل علي ب) وبالتالي يمكن أن تستخدم القواعد لتوجيه التفاعلات الاجتماعية . ولا يظهر أطفال هذه المرحلة العمرية كثيراً من متطلبات أو مؤشرات الضبط الداخلي لسلوكياتهم لكنهم يتجاوبون مع ما يعرف بقواعد أو محددات الضبط الخارجي. علي سبيل المثال علي الرغم من أطفال هذه المرحلة ربما لا يكون لديهم القدرة علي إظهار التعاطف مع الأطفال حديثي الولادة من إخوتهم يمكن تعليمهم السلوك الإيجابي نحو أشقائهم استناداً إلي القواعد والتعزيز (مثل توجيه المدح) من قبل الوالدين. ولا شك أن القواعد مهمة جداً للنمو الاجتماعي السوي في هذه المرحلة وربما يفسر ذلك كيف يصر أو يتمسك أطفال هذه المرحلة بالروتين والتماثل. وتستمر مرحلة العلاقات الاجتماعية المرتكزة علي قاعدة السبب والنتيجة من سن الثالثة من عمر الأطفال إلي وصولهم السنة السادسة.

ويفتقد أطفال هذه المرحلة بصفة عامة إلي الضبط الداخلي لسلوكياتهم علي الرغم من امتصاصهم للقواعد المنظمة للتفاعلات الاجتماعية عن طريق تكويدها وتخزينها في ذاكرتهم حيث لا يطورون قواعد ذاتية أو أعراف ذاتية لضبط أو للسيطرة علي تصرفاتهم الشخصية. وبهذا المعني تنضبط أفعالهم أو تصرفاتهم بما يعرف قواعد الضبط الخارجي. ويظهر أطفال هذه المرحلة من مراحل النمو الاجتماعي وعياً منخفضاً بالذات. ويشعرون بالحزن والأسى عندما لا يلتزم الآخرون بالقواعد الحاكمة للتفاعلات الاجتماعية. ولا يمثل رد الفعل هذا صورة الدفاع الخلقى ضد كسر القاعدة بل يفيد فقط أن نمط التنبؤ أو التوقع قد تم انتهاكه. وقد يظهر أطفال هذه المرحلة ظاهرة أو خاصية التمركز حول الذات عندما لا يرون أي ضرورة أو حاجة لتنسيق سلوكياتهم أو تصرفاتهم مع القواعد أو الضوابط أو الأحداث أو الناس المحيطين بهم في هذا العالم. كما أن فائدة القواعد مرتبطة بمدي مساعدتهم في خلق نوع من النسقية أو النظام والتنبؤ بالوقائع والأحداث أثناء تفاعلاتهم في الوسط الذي يعيشون فيه.

وبسبب عدم النضج المعرفي للأطفال في هذه المرحلة تكون استجاباتهم حدية وجامدة في سياق تمسكهم الحرفي بالقواعد والضوابط. إذ يتوقعون الأحداث والعلاقات وفق النمط الذي يتسق بحرفية مع القواعد والضوابط وأي انتهاك له أو خروج عليه غير مقبول وغير محتمل ويواجه بنوبات الغضب أو الهياج العصبي الشديد.

ويبدو أن انتقال الأطفال عادي السمع ذوي النمو اللغوي العادي وذوي نظم التواصل العادية مع المحيطين بهم من مرحلة النمو الاجتماعي المرتكز علي ثنائية طيب خير في مقابل شرير سيئ إلي مرحلة النمو الاجتماعي المرتكز علي القواعد أو (لماذا؟) يحدث بسهولة وتلقائية. ولسوء الحظ فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة للأطفال الصم وضعاف السمع لاعتبارات متعلقة بصفة عامة ببطء/تأخر/أو قصور نمو اللغة والافتقاد إلي نظم التواصل العادي مع المحيطين بهم. إذ أنهم يواجهون صعوبات بالغة في مثل هذا الانتقال. ولدي معظم الأطفال الصم في المرحلة العمرية بين سن الثالثة إلي سن الخامسة من العمر القدرة المعرفية لفهم، تذكر، وتطبيق القواعد في حياتهم لكنهم في ظل القصور اللغوي الشديد الذي لديهم غالباً ما لا يتلقون وصفاً أو شروحاً وتفسيرات للقواعد بصورة تمكنهم من نقلها إلي الذاكرة واختبارها في أفعالهم. ومع تقدم الأطفال الصم في العمر يزداد القصور اللغوي ولا يتاح لهم فرص استخدام وسيلة التواصل العادية مع المحيطين بهم وبالتالي يقضون وقتاً طويلاً في ملاحظة الأحداث قبل أن يتمكنوا من اشتقاق أو استخلاص قواعدهم الخاصة. وكمثال بسيط علي ذلك يتمكن الطفل العادي متوسط الذكاء تعلم ضوابط أو قواعد وآداب تناول الطعام مخ خلال تكرار الملاحظات للآخرين ويتعزز هذا التعلم من خلال تفسيرات وشروح والديه هذه الآداب له لأننا في عالم السامعين نري ما يحدث بأعيننا – وهذه خاصية متوافرة لدي الأطفال الصم بطبيعة الحال – لكننا نفهم/نتفهم لماذا؟ تحدث الأشياء بأذننا حيث يقوم الآباء والمحيطين بالأطفال بشرح وعرض وتفسير القواعد، العلاقات، والأنماط لهم وهذا ما يفتقد إليه بطبيعة الحال الأطفال الصم وضعاف السمع.

ويظل كثير من الأطفال الصم وضعاف السمع ذوي بطء/تأخر/أو قصور النمو اللغوي مثبتون عند مرحلة النمو الاجتماعي المرتكز علي ثنائية طيب خير في مقابل شرير سيئ وقد يظلون طيلة حياتهم متوقفون عند هذه المرحلة إلا إذا أتحت لهم فرص ثرية ومتنوعة لملاحظة الأحداث والتفاعلات الاجتماعية في مختلف مواقف التفاعل الاجتماعي أو إذا أعدت لهم برامج تدخل مكثفة لتنمية وتحسين مهارات التواصل الاجتماعي لديهم ولدي المحيطين بهم ليصار إلي علاقات اجتماعية إيجابية متبادلة معهم بصورة تعوض القصور اللغوي الذي يحول دون مثل هذا التواصل.

وفي حالة عدم التدخل قد ينتقل الأطفال الصم من مرحلة ما قبل المدرسة إلي مرحلة المدرسة بكثير من المشكلات السلوكية منها: الاندفاع والنشاط الحركي الزائد، عدم القدرة علي تحمل إرجاء أو تأخير إشباع أو تلبية الاحتياجات والمطالب، نوبات أو ثورات الغضب والهياج العصبي المتكررة، وعدم إتباع التعليمات، وسلوك الخلف والعناد.

المرحلة الخامسة مرحلة العلاقات الاجتماعية المرتكزة علي قاعدة من؟

أو ما يشار إليه بمرحلة من لفهم الاجتماعي A Who stage of social understanding فمع وصول الأطفال إلي سن السادسة من العمر تتزايد قدراته المعرفية ويبدأون في التحول إلي ما يعرف بمرحلة الفهم الاجتماعي المركز علي قاعدة من – يقصد تفهم طرف التفاعل الآخر واحترام وتقدير رؤاه وتصوراتہ الذاتية ورؤية الأمر والأحداث من منظوره – وتربط في هذه المرحلة تفسيرات الخبرة الاجتماعية بتزايد القدرة المعرفية علي إثراء تقدير العلاقات الاجتماعية خاصة مع تنامي فهم الأطفال بأن الاختلافات أو الفروق بين الناس لا تتوقف فقط علي المظهر الخارجي بل تعتمد كذلك علي الحالات النفسية الداخلية الذاتية مثل الأفكار والمعتقدات والمشاعر. ويبدأ أطفال هذه المرحلة في إظهار التعاطف مع الآخرين وتقدير واحترام وجهات نظرهم الذاتية. ويظهرون كذلك نوعاً من الضبط أو السيطرة الداخلية علي سلوكهم الشخصي وينمو لديهم هوية ذات مميزة كأن يقر في البناء النفسي للطفل الرغبة في أن يكون طفلاً طيباً ومحبوياً. وبوصول الأطفال إلي سن السابعة من العمر ربما يظهرون قلقاً وإحساساً بالندم والأسى حال ارتكاب خطأ سلوكياً ما كما يهتمون كثيراً بفعل الصواب والمتوقع أو المرغوب اجتماعياً. بل قد يدرك أطفال هذه المرحلة أنه من المعتاد أن يستجيب الناس بصورة متفاوتة لنفس الحدث كما يدركون أن تقديرات أو تفسيرات الناس لحدث واحد قد تختلف وبالتالي من المنطقي أن تختلف ردود أفعالهم. وهذا الاستبصار بالفروق أو الاختلافات بين الناس وإدراك اختلاف دوافعهم يفضي إلي تحسين العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين بل يزيد من رصيد السلوك الاجتماعي الإيجابي لدي الأطفال. وتمتد مرحلة النمو الاجتماعي المرتكز علي قاعدة من فيما بين سن السادسة إلي سن الثانية عشر من عمر الأطفال وفيها تزداد وتحسن قدرة الأطفال علي تعديل سلوكياتهم الاجتماعية بما يتسق مع مختلف الأشخاص ومع مختلف المواقف. يتوقف ثراء وتزايد الفهم الاجتماعي لدي الأطفال علي التواصل مع مختلف الناس وفي مختلف مواقف التفاعل الاجتماعي. وليس من قبيل المصادفة خلال هذه المرحلة أن يحدث انفجار أو تزايد وتحسن هائل في القدرة علي التواصل. ولدي الطفل العادي بناء لغوي يشبه البناء اللغوي للراشد كما بإمكان طفل هذه المرحلة أن يقرأ ومن هنا تتسع صيغ وسياقات التواصل أمامه. وتجدر الإشارة إلي أن اكتساب المعلومات عن الناس لا يتم تعلمها فقط من خلال التدريس أو المقصود علي يد الآباء والمعلمين بل يتم تعلمها في الغالب من خلال الانفتاح علي الوسط الثقافي الثري المحيط مثل الأفلام، القصص الشعبي، القصص والحكايات التي يرويها أعضاء الأسرة ومن هنا قد يتعلم الأطفال خبرات اجتماعية ربما تكون حدثت في زمن سابق أو في بيئة تبعد آلاف الأميال. ويمكن لأطفال هذه المرحلة تخيل ما يعنيه كون المرء يتيماً يقطن داراً للأيتام أو تخيل ما يقصد بكون المرء مكتشفاً بارعاً حضارة مجتمع

المايا بأمريكا الجنوبية. الأكثر من ذلك يمكن أن يدرك الطفل مواقف أو أحداث يستحيل حدوثها لكن يستفاد منها دروساً فيما يتعلق بالتفاعلات الاجتماعية لدي البشر مثل بيني فأر واعتباره ممثلاً لدور الأم أو الالتحاق بمدرسة سحرية أو أسطورية.

وخلال هذه المرحلة التي تغطي تقريباً سنوات المدرسة الأساسية (من سن ست سنوات إلي سن الثانية عشر مع العمر) نقضي خبرات الطفل وقدرته العقلية إلي بنائه مفهوم أكثر دقة للناس. فعند هذا المستوي يعتبر الطفل الآخرون أفراد متميزون لهم دوافعهم واحتياجاتهم الذاتية الخاصة. ومن خلال الحوارات والاستبطان يبدأ الطفل في فهم الحالات الداخلية للآخرين ويبدأ أيضاً في رؤية أن للآخرين أفكارهم ومشاعرهم الداخلية الشخصية الخاصة. وفقاً لوصف هاري ستاك سوليفان 1953 فإن أطفال هذه المرحلة يكونون صدقاتهم بناء علي معرفة وإدراك التشابه في الاهتمامات والخصائص مع بعض الأقران (Sullivan,1953). وعلي الرغم من أن بعض محكات الصداقة ذات مواصفات خارجية كالنوع مثل (ذكر/أنثي) إلا أن لها خصائص داخلية لا يتم معرفتها أو إدراكها إلا من خلال التواصل بين اثنين أو أكثر من الأطفال والمشاركة في الأفكار والمشاعر. ففي عمر مبكر عندما يقدم طفل مرحلة ما قبل المدرسة طفلاً آخرًا مصابًا بجرح ما فإن سلوك المساعدة هذا لا يعدو كونه تقليدًا بحثًا لسلوك أحد الراشدين سبق للطفل ملاحظته. علي عكس طفل مرحلة التعليم الأساسي فإنه يقدم المساعدة لأنه يفهم/يتفهم المشاعر التي يحس أو يشعر بها الطفل المجروح أو المصاب.

ويحدث للنمو الاجتماعي في هذه المرحلة تطوراً مهماً في واقع الأمر وهو أن أطفال هذه المرحلة يظهرون نوعاً من تقدير واحترام وجهات نظر ورؤى الآخرين. إذ يفهم/يتفهم طفل هذه المرحلة أن للناس أدوار مختلفة في الحياة وتختلف هذه الأدوار تبعاً لمتغيرات كثيرة منها الجنس، السن، المكانة الخ.

ويظهر طفل هذه المرحلة أيضاً استعداداً لضبط الذات أو للسيطرة الداخلية علي تصرفاته وأفعاله بل يخلق أطفال هذه المرحلة قواعد للسلوك والتفاعل الاجتماعي يمكن أن تطبق في المواقف الجديدة. ويطبّقون أيضاً القواعد التي تعلموها من الراشدين حتى وهم بعيدون عن مجال رقابة أو ملاحظتهم مما يعد مؤشراً علي بداية نمو الضبط الذاتي أو الداخلي للأفعال والتصرفات. ويظهر أطفال هذه المرحلة أيضاً مشاعر القلق والإحساس بالذنب عند انتهاكهم للقواعد المنظمة للتفاعلات الاجتماعية أو للسلوك الاجتماعي الإيجابي.

وتوفر بيئة التفاعل الاجتماعي المتاحة للأطفال عادي السمع كثيراً من الخبرات التي تنشط النمو المعرفي الضروري لنمو هذا المستوي المتقدم من الفهم للتفاعلات الاجتماعية إذ نجد أن مثل هؤلاء الأطفال يندمجون في أحاديث مع الكبار ومع غيرهم من الأطفال، يستمعون إلي مختلف وجهات النظر والتصورات المتباينة، ينتقلون خارج سياق الأسرة ويتواصلون مع

الآخرين في مواقف متنوعة في الأسرة والمدرسة، وهم قادرون لغويًا في نفس الوقت علي فهم/تفهم قصص العلاقات الاجتماعية المقروءة أو المسموعة أو المشاهدة في التلفزيون، السينما، والكتب، ويستمعون إلي أحاديث متنوعة وكثيرة في المنزل وفي المناسبات الاجتماعية المختلفة. فهم يلاحظون أيضًا كيف يختلف والديهم في تفسير نفس الحدث. وي طرح الراشدون أسماء أو أوصاف للحالات الداخلية مثل المشاعر وبالتالي يتمكن أطفال هذه المرحلة من فهم/تفهم الحالات الداخلية لمن يتكلمون معهم أو في القصص التي يستمعون إليها.

وعالم الخبرة الخارجية أمام الطفل غير محدد بل ثرٍ وامتسع جدًا ومن خلاله يتعرض لخبرات لغوية كثيرة يتعلم منها الكثير عن الناس والأحداث والعلاقات التي تتجاوز عالمه الداخلي الخاص المحدود. وهنا قد يتجاوب الطفل انفعاليًا ومعرفيًا مع المجاعات في أفريقيا والحرب في العراق ومع سكان البراري والعشوائيات.

وفيما يتعلق بالأطفال الصم نجد أن الخبرات المشار إليها محدودة جدًا وبالتالي لا تتوفر له خبرات التعلم الكافية التي تتقلهم بسهولة إلي هذه المرحلة من مراحل النمو الاجتماعي في ظل بطء/تأخر/أو قصور النمو اللغوي وفي ظل ندرة التواصل الاجتماعي مع الآخرين نتيجة عدم وجود نظام تواصل عام يمكنه من التفاعل مع كل المحيطين به. وللتدليل علي ذلك نستشهد بوصف أوليرون 1977 للنمو النفسي وتأكيده علي ارتباط النمو النفسي بالبيئة الثقافية التي يعيش فيها الطفل والتي تنتقل إلي الطفل عبر اللغة لتمكنه من تفسير الأحداث إذ يري أن القصور اللغوي يفضي إلي إعاقة النمو النفسي للمبتلي به نتيجة انفصاله عن البيئة الثقافية التي يتعايش معها (Oleron,1977). واتساقًا مع هذا الرأي يمكن القول أن الطفل الأصم يفتقد مواقف التعلم المباشرة لاستبعاده من الحوارات الاجتماعية وحرمانه من التفاعلات الاجتماعية اليومية العادية مما يفضي إلي عدم تعلمه مختلف الاتجاهات، الآراء، والمشاعر الخاصة بالآخرين. فإذا كان لدي الطفل الأصم – وهو لديه بالفعل – قصورًا لغويًا أو إذا كان لا يشارك الآخرين نظام التواصل العام أو الشائع – وهو كذلك بالفعل – فلن يستطيع مثلاً: المشاركة في الأحاديث الأسرية العادية التي تتم أثناء مواقف الحياة اليومية مثل أوقات تناول الوجبات، تبادل الحكايات والقصص الخاصة بالآباء والمعلمين وغيرهم من الأشخاص ذوي الجدارة أو المكانة في حياته. ولا شك أن افتقاد الطفل لمثل هذه الخبرات يفضي إلي انفصاله عن عالم الخبرة الاجتماعية وبالتالي صعوبة فهمه/تفهمه لمشاعر، آراء، مواقف، واتجاهات الآخرين مما يعرضه لمشاكل كثيرة أثناء العلاقات الاجتماعية المتبادلة معهم.

وبسبب ذلك وعلي فرض وصول الطفل الأصم لمرحلة النمو الاجتماعي المرتكز علي قاعدة السبب والنتيجة أو القواعد وتعامله مع الآخرين بناء علي هذه القواعد فإن الطفل الأصم

يفتقد – لعوامل كثيرة بطبيعة الحال – إلي التعلم الاجتماعي غير الرسمي أو العرضي الذي ينشط النمو الاجتماعي أو يدخله إلي مرحلة النمو الاجتماعي التالية.

ويعلن برانيتش 1981 أنه بدون التواصل السلس مع الأقران والآباء يعاني الأطفال الصم من صعوبات بالغة في النظر إلي الآخرين كأشخاص لهم هويتهم وخصوصياتهم الشخصية. ونتيجة لذلك من غير المستغرب أن نجد الأطفال الصم خلال سنوات محلة المدرسة الأساسية بل والثانوية يطبقون خصائص النمو الاجتماعي لمرحلة القواعد أو السبب والنتيجة علي تعريف المواقف الاجتماعية. وعلي الرغم من فائدة وأهمية القواعد بالنسبة للسلوك الاجتماعي لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة إلا لأن لها أهمية أو فائدة قليلة بالنسبة للأطفال الأكبر سنًا (Brinich,1981).

ولعل النقطة الأخيرة التي أشار إليها برانيتش هي السبب وراء الشكوى العامة التي مفادها أن الأطفال الصم الأكبر سنًا أكثر جمودًا في المواقف الاجتماعية، ينقصهم التعاطف والبصيرة. ونتيجة لمثل هذه الخصائص وردود الأفعال السلبية التي يتلقونها من الآخرين يتعلمون الانسحاب الاجتماعي لتعويلهم المبالغ فيه علي الهاديات البصرية للحصول علي المعلومات وتلقيهم شروحا أو أوصافاً قليلة جداً لما يفعله الآخرون (Mindel&Vernon,1971).

وقد أظهرت نتائج دراسة باتشارا ورافائيل وفيلان 1980 وجود كثيراً من مشكلات نمو السلوك الاجتماعي لدي الأطفال إذ يتضح من نتائج هذه الدراسة أن الأطفال الصم مقارنة بأقرانهم عادي السمع : يفتقدون إلي القدرة علي التعاطف، غير قادرين قراءة أو فهم انفعالات ومشاعر الآخرين وبالتالي تسوء علاقاتهم الاجتماعية المتبادلة معهم (Bachara,Raphael&Phelan,1980).

المرحلة السادسة : مرحلة العلاقات الاجتماعية المرتكزة علي المبادئ.

مع وصول الأطفال إلي مرحلة المراهقة تنمو لديهم القدرة علي التفكير المجرد أو الشكلي – مرحلة العمليات الشكلية وفق تصنيف جان بياجيه لمرحل النمو العقلي – وكجزء من تزايد القدرة العقلية يبني الأطفال مفهوم التفاعل الاجتماعي علي مبادئ وقيم مجردة وتستخدم هذه المبادئ والقيم لتوجيه الأفعال والتصرفات الشخصية. وبدلاً من إدراك المراهق للناس كما لو كانوا كائنات ثلاثية الأبعاد لهم مشاعر ووجهات نظر أو تصورات ذاتية داخلية مختلفة يؤمن بوجود مبادئ عامة ملزمة تحكم الأفعال والتصرفات بغض النظر عن التباين في المشاعر والآراء. علي سبيل المثال قضية مثل الحقيقة، القيمة، الكرامة، الحرية كلها من وجهة نظر المراهق مثل ومبادئ أساسية . ويهتم المراهقون في هذه المرحلة بصورة واضحة برفاهية ومصالح الآخرين. ونجدهم يطبقون المبادئ الخلقية العامة في كل المواقف الاجتماعية

ويوجهون انتقادات لاذعة في واقع الأمر إلي كل من لا يلتزم بهذه المبادئ. وعلي الرغم من تقدير المراهقون للفروق والاختلافات بين الناس إلا أنهم بصفة عامة يتوقعون أن يلتزم كل الناس بالمبادئ الخلقية العليا.

وبالنسبة للمراهقين الصم يقتضي أمر وصولهم إلي هذه المرحلة من النمو الاجتماعي نظام لغوي متقدم ومعقد. بل تتطلب الخبرات العديدة الضرورية لنمو هذا المستوي من التفكير الاجتماعي القدرة علي فهم/تفهم وتقدير الأفكار والمفاهيم المعقدة التي يتعذر التواصل مع الآخرين بصدها دون نظام لغوي متطور. فلو نظرنا إلي الأطفال عادي السمع لوجدنا أو قدرتهم علي تسمية ووصف الأشياء غير المرئية تمكنهم من الانتقال من مرحلة العمليات العيانية إلي مرحلة العمليات الشكلية أو المجردة (Tomlinson-Keasy&Kelly,1974). ومن المتعذر وصول الأطفال الصم إلي هذا المستوي بدون قاعدة لغوية كاملة وبدون خبرات تواصل تستثير أو تنشيط تفكيرهم.

ولعل هذه النقطة تلقي الضوء علي الفكرة الرئيسية لنموذج النمو المعرفي والتي مفادها أن كل مرحلة ارتقائية تستند إلي المرحلة النمائية السابقة وتمهد للمرحلة النمائية اللاحقة . ويرى فيرث 1971 ، 1973 أن الأطفال الصم الذين كونوا عينة دراساته أظهروا شواهد لمرحلة العمليات الشكلية وفق مستويات النمو المعرفي لبياجه كما أن لديهم قدرات الاستدلال المجرد واعتقد أن الأطفال الصم قادرون علي التفكير المجر بدون اللغة (Furth,1971;1973). ومع ذلك لم يشغل فيرث نفسه كثيرا بتعيين الفروق أو الاختلافات المحتملة في مهارات الاستدلال بين المراهقين الصم وأقرانهم العاديين. وبغض النظر عن هذه النتائج يمكن القول بأن المستويات الراقية من الأداء المعرفي الوظيفي تعتمد بلا شك علي القدرة الغوية وبالتالي قد يواجه المراهقون الصم صعوبات بالغة في الوصول إلي هذه المرحلة من النمو الاجتماعي بدون برامج تدخل فعالة تنشيط نموهم اللغوي والمعرفي في نفس الوقت.

المرحلة السابعة: مرحلة العلاقات الاجتماعية المرتكزة علي الأنماط أو الصيغ.

وهنا يصل الراشد الصغير إلي معرفة أن هناك أنماط أو صيغاً محددة للعلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين. ومع فهمه بأنه ربما يقوم بأدوار اجتماعية كثيرة بناء علي تباين المطالب والمواقف الاجتماعية بيني أنماط أو صيغ تفاعل متعددة تمكنه من الأداء السلوكي الوظيفي الإيجابي. علي سبيل المثال قد تجد المرأة الصغيرة نفسها تتصرف بصورة مختلفة كابنة، زوجة، وكأم. ويتعلم المرء أيضاً عند هذا المستوي التعايش الإيجابي الفعال مع كل هذه الأدوار دون أن يفقد هويته الذاتية ودون أن يتخلى عن المبادئ الخلقية العامة التي توجه علاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين.

ويحتاج الصم في كل من مرحلة المبادئ والأنماط قاعدة لغوية تمكنهم من التفاعل مع القضايا والموضوعات الاجتماعية المجردة كما يحتاجون إلي القدرة علي التواصل للتوصل إلي أو لتوليد رؤى واستبصارات واستنتاجات عامة من العلاقات الاجتماعية المتبادلة ومن الخبرات الثقافية المختلفة.

رابعاً تطبيقات النموذج (نموذج مراحل النمو الاجتماعي لروبرت شوم):

صيغ نموذج النمو الاجتماعي لروبرت شوم أصلاً لوصف تفسير النمو الاجتماعي لدي الأطفال العاديين. ويفترض هذا النموذج أن القدرة العقلية للطفل تزداد نمواً وتحسناً مع تزايد وتطور النمو البدني له. في حيث يتوقف فهم الطفل للعلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين علي تفاعلاته في البيئة التي تحويه. والتي تنشط أو تستثير قدرته علي تكوين مفاهيم محكمة تتعلق بكيف يتواصل أو يتفاعل الناس مع بعضهم. ومع اكتساب وتكوين الطفل لمخططات معرفية مرتبطة بالتفاعلات الاجتماعية يفترض أن يطبق هذه المخططات علي تفاعلاته مع الآخرين. وقد أدخلت تعديلات كثيرة علي هذا النموذج ليصف ويفسر النمو الاجتماعي لدي الأطفال الصم وهنا تم التركيز بالإضافة إلي مستوي النمو المعرفي علي تبيان تفاصيل العلاقات المتداخلة بين النمو اللغوي وصعوبات أو مشكلات التواصل لدي الأطفال الصم ومشكلات النمو الاجتماعي.

وفيما يتعلق بأهمية النمو اللغوي نجد أن لها مظهرين أساسيين الأول: بدون وجود نظام لغوي كامل يعجز الطفل عن معالجة أو التعامل مع المفاهيم والأفكار المعقدة أو المتقدمة المرتبطة بمرحلة العلاقات الاجتماعية المرتكزة علي قاعدة من والمراحل النمائية التالية. الثاني: توفر اللغة نظام التواصل الضروري ليتمكن الطفل من فهم/تفهم الخبرات المختلفة في بيئته. ومن المهم أن يشترك الطفل والديه نظام التواصل الشائع أو العام. وعندما تستخدم اللغة في هذا السياق فإنها تشير إلي أي نظام لغوي متاح للطفل إذ يمكن أن يكون هذا النظام اللغة العادية سواء كانت منطوقة، مكتوبة، أو لغة الإشارة.

وتجدر الإشارة إلي أن الأمثلة التوضيحية المعروضة في النموذج النمائي الحالي لا تفيد بالضرورة أن كل الأطفال الصم يواجهون صعوبات في التحرك عبر مراحل النمو الاجتماعي المشار إليها. فإذا شارك الطفل والديه والآخرين مبكراً نظام تواصل، وإذا تمكن الطفل بشكل أو بآخر وفي ظل ظروف الإثارة والرعاية البيئية المتنوعة من تطوير نظام لغوي كامل ومعقد فلن يحدث له تثبيت عند مرحلة نمو اجتماعي معينة. وربما ينطبق هذا الوضع المثالي علي نحو ما يري بيتس 1978 في واقع الأمر علي الأطفال الصم لآباء صم إذ يشترك هؤلاء الأطفال منذ مرحلة عمرية مبكرة والديهم لغة تنشأ بشكل تلقائي طبيعي بينهم وبالتالي قد تقل

بصورة دالة المشكلات النفسية والسلوكية لدي هؤلاء الأطفال مقارنة بأقرانهم الصم لآباء عاדיين السمع الذين يواجهون صعوبات بالغة في تأسيس أو بناء أي نظام تواصل مشترك مما يحد بطبيعة الحال من عالم الخبرة الاجتماعية أمامهم (Bates,1978).

ويمكن الاستفادة من نموذج النمو الاجتماعي لروبرت شوم لوصف وتفسير مظاهر النمو الاجتماعي لدي الأطفال المعوقين سمعياً ذوي القصور السمعي الشديد إذ يفترض أن هؤلاء الأطفال معرضون لمخاطر المشكلات النفس اجتماعية ذات العلاقة المباشرة بالقصور في النمو اللغوي والتواصل الاجتماعي. ووفقاً لنموذج الارتقاء المعرفي فإن التطور يحدث في إطار التفاعل بين النمو البدني، العقلي، والخبرات البيئية المتنوعة. والصعوبة التي لدي الطفل المعوق سمعياً تتمثل في ندرة فرص التفاعل المتاحة له نتيجة مشكلات التواصل فإن أمكن التغلب علي هذه المشكلات اتسع أمام فضاء عالم الخبرة الاجتماعية وانتظم بالتالي مسار نموه الاجتماعي.

ولهذا النموذج دلالات كLINIكية مهمة في الحقيقة منها أنه يطرح مدخلاً إيجابياً لفهم/تفهم والتعامل مع المشكلات النفسية الاجتماعية الشائعة بين الأطفال الصم وضعاف السمع. إذ أنه يساعد علي تحسين وعي الآباء والخبراء بالمشكلات السلوكية لأبنائهم الصم وضعاف السمع خاصة لتأكيد علي أن كثيراً من السلوكيات المشككة أو المستهجنة التي تصدر عد الأطفال الصم وضعاف السمع تعتبر عادية في إطار المرحلة النمائية التي يمرون بها. ويقترح هذا النموذج أيضاً أن القدرة اللغوية والقدرة علي التواصل مفتاح تحسين وإثراء النمو النفسي بكافة مظاهره لدي الأطفال الصم وضعاف السمع. ويوضح الجدول رقم (1) الخصائص العامة لكل مرحلة من مراحل النمو الاجتماعي . وبناء علي قائمة الخصائص التي يوضحها الجدول رقم (1) يستطيع المرء تعيين مرحلة النمو الاجتماعي التي عليها هذا الطفل أو ذاك . ويجب أن يلاحظ أن الطفل قد لا يظهر كافة الخصائص الخاصة بمرحلة نمو واحدة ولا ينتقل بين مرحلة نمو وأخرى بشكل ارتجالي أو عشوائي . كما أن المفردات اللغوية الخاصة بالمستويات المختلفة تشير بصورة عامة إلي نمط التواصل. إضافة إلي أن اكتساب الكفاءة اللغوية التامة لا يعني هكذا تلقائياً ضمان النمو الاجتماعي العادي أو السوي إذا أن هذا الكفاءة توفر للطفل فقد فرص فهم/تفهم التفاعلات الاجتماعية. ولكي تعين مرحلة النمو الاجتماعي التي يمر بها الطفل علي المرء أن يضع في اعتباره كافة الخصائص التي يظهرها ذلك الطفل في مختلف مواقف التفاعل الاجتماعي التي يتعرض لها ويشارك فيها.

- جدول رقم (1) مراحل النمو الاجتماعي (المراحل النمائية للتفاعلات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين).

مسلل	المرحلة	الخصائص
1	الذات في مقابل العالم	الاستكشاف الحسي الحركي، المتابعة البصرية، توقع أن يتركه الآخرين، البكاء طلباً للتغذية.
2	الأشخاص في مقابل الموضوعات أو الأشياء	الحملقة في وجوه الآدميين خاصة الأم والأب، الإبتسامة الاجتماعية، الاستجابة لصورته في المرآة.
2	مرحلة ثنائية خير طيب/شرير سيء	القلق من الغرباء، الاندفاع، عدم تقبل تأخير أو إرجاء إشباع أو تلبية الاحتياجات والمطالب، نوبات أو ثورات الغضب والهييج العصبي، هنا والآن، التواصل بكلمات مفردة أو عبارات قصيرة.
4	مرحلة العلاقات الاجتماعية المرتكزة علي القواعد (لماذا؟)	فهم/تفهم علاقات السبب والنتيجة، التجاوب مع المواقف الشرطية (إذا/إذن)، الاستجابة لمصادر الضبط الخارجي، غياب الضبط الداخلي، استخدام القواعد لمساعدة الذات، الجود في تفسير القواعد والالتزام الحرفي بها، التمرکز حول الذات، نقص الوعي بالذات، التواصل باستخدام جمل بسيطة واستفسارات مقتضبة.
5	مرحلة العلاقات الاجتماعية المرتكزة علي قاعدة من؟	التعاطف، تقدير وجهات نظر الآخرين، تقديم المساعدة دون انتظار الإثابة، الضبط الداخلي للذات، الإحساس بالذنب حال ارتكاب الأخطاء، الاهتمام والرغبة في فعل الصواب، يصبح التواصل أكثر تعقيداً لكنه يعتمد علي المحسوس أو العينية.
6	مرحلة العلاقات الاجتماعية المرتكزة علي المبادئ	الاهتمام بمصالح ورفاهية الآخرين، تطبيق المبادئ العامة علي التفاعلات الإنسانية (العدل، الأمانة، الحرية)، نقد من لا يلتزمون بالمبادئ العامة، يصبح التواصل أكثر تعقيداً ومجرداً.
7	مرحلة العلاقات الاجتماعية المرتكزة علي الأنماط أو الصيغ.	القيام بأدوار مختلفة في المواقف المختلفة، مع الحفاظ علي الهوية الذاتية المحورية، التحول التلقائي من دور إلي دور تبعاً للموقف الاجتماعي الذي يتم التعايش والتفاعل معه.

فإذا اكتشف المرء أن لدي الطفل الأصم تشبيهاً عند مرحلة نمائية معينة من مراحل النمو الاجتماعي فإنه قد يكون أمامه استراتيجيتين:

الأولي: أن يتعامل مباشرة مع الموقف الحالي وهنا قد يميل إلي تجاهل ما يعرف بالعمر الزمني أو البدني للطفل ويتعامل مع السلوك كما يتسق مع المرحلة النمائية الفعلية للطفل. علي سبيل المثال، إذا كان الطفل يظهر الخصائص السلوكية لمرحلة خير طيب/شرير سيء فالتعامل الفوري معه يستلزم أن يقوم الكبار الراشدين بمراقبته لافتقاده مثل هذا الطفل التصرف

وفق القواعد وعليه لا يجب أن يسمح لهذا الطفل بالعب خارج المنزل ولما كان هذا الطفل لا يفهم القواعد مثل قاعدة عليك أن لا تجري في الشارع يتوقع أن تتنابه نوبات أو ثورات غضب وهياج عصبي وهنا قد يكون من الأوفق تجاهل السلوك السلبي الذي يصدر عنه واستخدام ما يعرف بالحرمان أو الإبعاد المؤقت عن نشاط أو لعب محبب بشرط أن يستخدم هذين الإجراءين أو هاتين الفئتين بصورة منتظمة ومتسقة.

والثانية: إعداد خطة تدخل بعيدة المدى تستهدف تنمية القدرة اللغوية للطفل وإثراء تواصله الاجتماعي بشكل عامة وتزويده بالمعلومات الاجتماعية والثقافية للوسط الذي يعيش فيه. إذ تؤدي مثل هذه الإثارة إلي ترقية وتحسين فهمه/تفهمه للعلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين. علي سبيل المثال، إذا كان هناك طفلاً أصماً يبلغ من العمر 10 سنوات يتفاعل مع اجتماعية وفق مرحلة القواعد (مرحلة لماذا؟) علي المرء أن يتعامل مباشرة وفوراً مع السلوك وفق أسلوب الضبط الخارجي ثم يخطو خطوة أبعد من ذلك في نفس الوقت لتوسيع وإثراء النمو اللغوي الاجتماعي وخبرات التواصل ليتعلم الطفل الكثير عن الآخرين: أفكارهم، آرائهم، وجهات نظرهم، خبراتهم، ومشاعرهم وانفعالاتهم. ومن المهام الحاسمة لانتظام مسار النمو الاجتماعي في هذه المرحلة تنمية فهم/تفهم الطفل للخبرات الانفعالية المختلفة وتعليمه المفردات الانفعالية مهارات اكتشاف وتعريف انفعالات ومشاعر الذات وانفعالات ومشاعر الآخرين والتجاوب الوظيفي السوي معها. إذ يفضي مساعدة الطفل علي تعرف واكتشاف الخبرات الانفعالية للآخرين وتفهم دلالاتها إلي تحسين علاقاته الاجتماعية المتبادلة له مع الآخرين وبالتالي تنمية كفاءته الاجتماعية وهي الهدف النهائي لأي برامج تدخل في مجال النمو الاجتماعي للأطفال الصم وضعاف السمع.

وينطلق النموذج النظري للنمو الاجتماعي لدي الأطفال الصم وضعاف السمع الذي صاغه وطوره ربوبرت شوم من التسليم بأن القدرة اللغوية وخبرات التواصل مفاتيح نمو السلوك الاجتماعي. كما أن التباين في القدرات اللغوية والتواصلية بين الأطفال الصم وضعاف السمع من أهم أسباب التباين في النمو الاجتماعي والقدرات السلوكية فيما بينهم. ويأخذ هذا النموذج في اعتباره النمو الاجتماعي لدي الأطفال العاديين ثم يركز بصفة خاصة علي لماذا يحدث تثبيت لدي بعض الأطفال الصم وضعاف السمع علي مرحلة معينة من مراحل النمو الاجتماعي مقارنة بأطفال صم أو ضعاف سم آخرون لا يحدث لهم هذا التثبيت. ويؤكد في هذا النموذج بصفة خاصة علي ضرورة تجاوز النظر إلي المشكلات السلوكية لدي الأطفال الصم وضعاف السمع من المنظور الطبي المرضي إلي اعتبارها تعكس فقط غياباً أو نقصاً في السلوكيات الخاصة بالمرحلة النمائية نتيجة القصور اللغوي لدي الكثير من هؤلاء الأطفال.

خامساً مظاهر القصور في السلوك الاجتماعي لدى الأطفال الصم وضعاف السمع والعوامل

المؤدية إليه:

تتركز العلاقات الاجتماعية للأطفال في مرحلة المهد ومرحلة ما قبل المدرسة علي القائمين علي أمور رعايتهم وتربيتهم. ويتحول تركيز هذه العلاقات أثناء سنوات المدرسة الابتدائية إلي العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الأقران ثم تتسع هذه العلاقات في المراحل النمائية التالية مع اتساع وامتداد عالم الخبرة الاجتماعية أمامهم. والأطفال الصم أكثر عرضه للمعاناة من مشكلات في التفاعل الاجتماعي أثناء هذه المراحل النمائية. كما يعبر آباء ومعلمو هؤلاء الأطفال عن قلق بالغ نتيجة كثيراً من صور الخلل أو القصور في العلاقات الاجتماعية المتبادلة لدي هؤلاء الأطفال إذ عادة ما يصف آباء ومعلمو الأطفال الصم هؤلاء الأطفال بأنهم منسحبون اجتماعياً ، لديهم سلوكيات غير ناضجة، ومتخلفون في النمو الاجتماعي بصفة عامة. ولحسن الحظ أن الأمر ليس علي هذا النحو بالنسبة لكل الأطفال الصم أو ضعاف السمع إذ أن البعض منهم لديه مهارات اجتماعية متميزة ويستمتعون بعلاقات صداقة عادية.

والسؤال ما المتغيرات أو العوامل التي تفضي إلي وجود مثل هذه الفروق؟

بمعني لماذا يعاني بعض الأطفال الصم من قصور واضح في علاقاتهم الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين في حين قد لا يكون هذا القصور واضحاً أو دالاً لدي البعض الآخر؟ ويمكن القول من خلال مناقشة وتحليل الحالات السابقة أن نجاح أو فشل الأطفال في العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين يتأثر بأربعة عوامل أساسية هي:-

- (أ) النمو اللغوي.
- (ب) فرص التواصل الاجتماعي المتاحة.
- (ج) نوعية وطبيعة اتجاهات وأساليب المعاملة التي يتعرضون لها سواء من قبل الآباء، الأقران، المعلمين، أو غيرهم من المحيطين بهم.
- (د) ورصيد الأطفال من المهارات الاجتماعية الانفعالية.